نحو محاولة لتحديد مفهوم المثقف.

د.فضيلة سيساوي.

جامعة جيجل.

fasissaoui@yahoo.fr

الملخص:

يعتبر مفهوم المثقف من بين المفاهيم المتداولة في حقل علم الاجتماع العصية على الضبط لجملة من العوامل التي يمكن اختصارها في نقطتين أساسيتين : طبيعة النشأة التاريخية للمفهوم و ما تولد عنها من إشكالات نظرية كان لها الأثر البالغ على مسألة تناول هذا المفهوم ، ثم ارتباطه في اللغة العربية بمفهوم الثقافة الذي لا يقل عنه تشابكا وتعقيدا. هذا الإشكال النظري هو ما ستتمحور حوله مجموعة الأفكار والموضوعات بهذا المقال في محاولة لاستنطاق، تتبع، وتحديد هذا المفهوم.

Le résumé

Le concept de l'intellectuel est parmi les concepts les plus complexes, difficiles a délimité et a définir, utilisés dans la sociologie a cause d'un ensemble de facteurs, qui peuvent être résumés en deux points essentiels: la nature de la naissance historique du concept, et sa relation avec un autre concept dans la langue arabe aussi complexe qui est la culture. Et c'est cette problématique que nous aurons à traiter dans cet article au vu d'un essai pour une définition de ce concept.

مقدمـــة:

تدعو التطورات التي تشهدها الساحة العالمية والعربية تحديدا، إلى الاشتغال مرة أخرى على موضوع دور ومكانة المثقف في المجتمع، خصوصا وهو الذي يفترض فيه أن يكون الحاضر اليقظ، الذي لا تغفو عينه، ولا يغيب عقله عن التقاط نبض الشارع، حياة، وهموم هذا المجتمع، أو عندما نقف على كم الكتابات التي تتهمه إما بالغياب أو بالتغيب عن الراهن. وسواء كان هذا الغياب طوعا أو كراهية فالكل مصاب بالدهشة، أو قل بخيبة الأمل، ويتهمه بقصر اهتمامه على شؤون حياته اليومية، أو بتلميع صورته، والاهتمام بتسيير مساره المهني.

فمن هو المثقف؟ هل هو المتعلم حامل الشهادة العلمية أم هو منتج المعرفة العلمية الأكاديمية ؟ هل هو الفيلسوف؟ أم الكاتب؟ أو الأديب؟.

تساؤلات وغيرها تطرح عندما نهم باستنطاق موضوع نحاول فيه تحديد مفهوم المثقف. إذ يجد المرء نفسه إزاء وضع شائك ومعقد للغاية. ذلك أن هذا المفهوم واحد من المفاهيم التي تمثل إشكالا نظريا بالنسبة للباحثين على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية، ومنطلقاتهم النظرية، حيث يسعى كل واحد منهم إلى تعريفه وفق مبادئه وقناعاته، أو بما يتماشى وميولاته السياسية والأيديولوجية، الأمر الذي ينعكس مباشرة في عملية تحديد مفهوم المثقف، دوره في المجتمع، وعلاقاته بالسلطة، بل ويجد بصماته في تلك النعوت الكثيرة التي أُلصقت أو التصقت بهذا المفهوم.

لذلك سنعمل جهدنا عبر هذا المقال على طرق الموضوعات التي نرى بأنها ستفيد في بناء محاولتنا لتحديد مفهوم المثقف، بغض النظر عن طبيعة المجتمع الذي يمكن أن ينتمي اليه هذا المثقف أو يتواجد فيه. حيث سنتناول بالبحث والتحليل الموضوعات التالية تباعا:

- مفهوم الثقافة.
- مفهوم المثقف.
- مبدأ استقلالية المثقف.
- أصناف المثقف.
- صفات المثقف.

تمهيد :

يفرض منطق الأشياء مثلما الضرورة العلمية ابتداء عملية تحديد أي مفهوم العودة الى المفاهيم ذات العلاقة لصلتها الوثيقة بتتبع نشأة وتطور المفهوم مثلما بفهمه وتحديده. وبما أننا هنا بصدد مفهوم "المثقف" فإنه لا مناص من المرور أولا بمفهوم الثقافة الذي يعتبر مفهوما مفتاحا في التعامل مع مفهوم المثقف.

مفهوم الثقافة:

يبدأ الباحثون عادة محاولاتهم في تحديد مفهوم" المثقف" بتحديد مفهوم الثقافة أولا، على اعتبار أن كلمة مثقف في اللغة العربية مستمدة أو مشتقة منها. أما حينما يعرفون الثقافة فنجدهم يجمعون على أن كلمة ثقافة تعبير مجازي، وهي مستمدة من الكلمة" **"**culture، التي تعني حرث الأرض أو التربة، و أما في اللغة العربية فان كلمة ثقافة مشتقة من الفعل الثلاثي ثقف و ثقف الشيء معناه تعلمه بسرعة فائقة . أما الثقاف فهو ما تسوى به الرماح، ومن تم فتثقيف الرماح يعني صقلها. وإذن فللثقافة معنيين: المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي.

فالمعنى اللغوي: وكما تمت الإشارة إليه: فهو التسوية، والصقل، أي تسوية الشيء وصقله. ويقال ثقف الرجل بمعنى أن الرجل صار حاذقا أو ماهرا. أما في اللغة الأجنبية فإن كلمة ثقافة تقابلها كلمة" culture**"** التي تعني الزرع، والزراعة فتعني الاستقرار، وبالتالي التحضر أو تشكل المدن.

أما في المعنى الاصطلاحي: فالمعنى أيضا متعدد.إذ تعددت التعريفات التي اهتمت بتعريف هذا المصطلح. وللتدليل على هذا الاهتمام وهذا التنوع يمكن أن نذكر في هذا المقام بأن "إدوارد تايلور" قد أحصى ما يزيد عن مائتي تعريف للثقافة. فمصطلح ثقافة، يعد مصطلح محوري، كونه أحد المصطلحات الأساسية في الحقل الاجتماعي، باعتباره يحاول أن يقدم توصيفا إذا ما صّح التعبير للسلوك الإنساني في الحياة المجتمعية. ومن ذلك يمكن القول بأن تنوع التعريفات حول الثقافة لم يأت من العدم، وإنما أملاه تنوع و اختلاف المجتمعات وارتباطها – الثقافة – بهذه المجتمعات. إلا أننا عندما ينظر إلى الثقافة بصفة عامة أو بصورة مجردّة سنجد هناك الكثير من القواسم المشتركة، والتشابه بين ثقافات المجتمعات. فالاختلافات توجد في التفاصيل، أو في القضايا الخاصة بكل مجتمع على حدة. ولن يجانبنا الصواب إذا ما جزمنا بأن الثقافة هي إحدى أهم العناصر التي تجعلنا نتعرف على الإنسان، وعلى المجتمع. فهي التي تميز الجنس البشري وتؤكد على صفة الإنسانية فيه. ولهذا لم

تكن محاولات العلماء المهتمين بدراسة الثقافات سهلة أبدا، فقد تعددت وكثرت، الأمر الذي يجعل المرء سواء كان دارسا أم قارئا أمام إشكالية تتعلق بصعوبة تبني تعريف بعينه دون التعاريف الأخرى.

هذا ولعل من أشهر التعريفات وأقدمها أيضا، ذلك التعريف الذي قدمه "إدوارد تايلور" في أواخر القرن التاسع عشر في مؤلفه "الثقافة البدائية"، أين عرف الثقافة بأنها " ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات، والفنون والأخلاق، والعرف، ويميز ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع." (1) أي هو يعيش ضمن الجماعة الاجتماعية.

ما يتضح من التعريف السابق هو أن الثقافة تتألف من مجموعة من العناصر المندمجة، التي تشكل الحياة الاجتماعية للأفراد والمجتمعات، وهي بطبيعة الحال كما يبينه التعريف مجموعة من العناصر المادية، وغير المادية وهي تنشأ، أو تتشكل نتيجة تفاعل الأفراد فيما بينهم في أثناء ممارستهم لشؤون حياتهم اليومية.

كذلك يقدم "روبرت بيرستد" بدوره في أوائل الستينات من القرن الماضي تعريفا للثقافة ليقول بأن "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما تفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نتملكه كأعضاء في مجتمع" (2). وهنا أيضا تتجلى مرة أخرى طبيعة الثقافة، المتمثلة في ارتباطها بالمجتمع الإنساني أو البشري، وهي مثل ما ترتبط بأسلوب التفكير عند الإنسان، ترتبط أيضا بنمط سلوكه وتصرفاته، كما بنوعية ما يمتلكه هذا الإنسان بصفته عضوا في الجماعة.

إن الملاحظ على التعريفين السابقين هو أنهما لم يحصرا الثقافة في الجانب المادي، أو اللامادي أو الفكري فقط، وإنما جمعا بين الجانبين، على عكس ما فعلت بعض التعريفات التي سلكت منحى آخر، عندما ركزت على جوانب معينة في الثقافة دون أخرى، لنجد أن الثقافة عندها تتكون: إما من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والإيديولوجيات وغيرها من المنتجات العقلية، وإما ترتبط بنمط الحياة الكلي، مع ما يربط بين الأفراد من علاقات، وتوجهات في الحياة.

والحق أننا لا نود الدخول في سجال في هذا المجال، وإن كنا نقر بأن مفهوم" الثقافة " يعتبر واحد من بين المفاهيم الأكثر تداولا، والأكثر غموضا خصوصا إذا أضفنا إلى ذلك كونه مفهوم واكب التطورات التي خبرتها الإنسانية عموما والرأسمالية على وجه الخصوص. و يمكن في هذا الباب الاستشهاد بـــ"برتراند بادي" عندما يقول في كتابه :" الدولة المستوردة" " L'état importé " أن من انتصر هي هوليود، وليس النظام الرأسمالي، موسعا بذلك مفهومه للإعلام ليقترب من الثقافة كمفهوم أعمّ وأشمل.

لذا وأمام مثل هذا الواقع، أو كما يقول "الطاهر لبيب" لا تستغرب إذن، أن يكون من بين الأعمال الأكاديمية بحوث تنحصر في تتبع المغامرة التاريخية لكلمة ثقافة، لتبين كيف أصبحت هذه الكلمة ضحية النجاح الذي حظيت به. ثم أن يكتب "إدجار موران" "E. Morin" "... الثقافة ... كلمة تبدو وكأنها كلمة ثابتة حازمة، والحال أنها كلمة فخ خاوية، منومة، ملغمة، خائنة... الواقع أن مفهوم الثقافة ليس أقل غموضا و تشككا وتعددا في علوم الإنسان منه في التعبير اليومي". (3) أو لنقل معه أنها كلمة مضللة تستخدم في تبرير مواقف معينة كالاستغلال، وإيديولوجيات الهيمنة تحت مسميات عديدة قد تكون حرية الفرد، الديمقراطية، التبادل الحر، أو الانتشار الثقافي الذي يدعو في ظل نظام العولمة إلى ضرورة أن تحاكي الثقافات غير المتطورة الثقافات المتطورة، أو الأكثر تطورا، وهي بطبيعة الحال ثقافات الرأسمالية التي أخذت في التطور خاصة بعد التسعينيات بشكل أكثر شراسة، حيث بدأ "... التراجع عن الضمانات الاجتماعية والمفاهيم التي أخذت بها الرأسمالية في ظل دولة الرفاه وقد جاء هذا التراجع مرتكزا على بعدين: أولهما اقتصادي، وهو أن العاطلين، والمحالين على المعاش، والعاجزين هم عبء على المجتمع... وكل هذه الطروحات ... تصب في فكرة " فوكوياما" نفسها وهي نهاية التاريخ" لصالح المنظومة الرأسمالية" (4) مثله في ذلك مثل البعد الاجتماعي، عندما ترفض المنظومة الرأسمالية النظر بعين " الرحمة" الى الفئات الاجتماعية البسيطة، والهامشية غير القادرة على تحمل عبء العيش في المجتمع الرأسمالي والأمريكي تحديدا.

إن ما نعنيه هنا هو أن الثقافة ليست حقلا حياديا نتصرف فيه وفق اراداتنا الحرة بعيدا عن المؤثرات أو المنبهات الخارجية والداخلية على حد سواء. بل قل أن المثقف هو الحامل لهذه المنبهات وهذه المؤشرات التي يتحرك ضمنها الإنسان، أو في إطارها وتحت وقعها وتأثيرها لأن بمقدورها أن تعمل عمل السحر على الأفراد في مجالات وعلى مستويات عدّة. بدءا بطريقة الأكل و الملبس، وصولا إلى نمط التفكير وإنتاج الأفكار. ولذلك فلا غرابة مثلا في أن يهتم "بيار بورديو" بالعلاقة بين الثقافة والخياطة الرفيعة، حيث يشرح في مطلع حديثه عن هذا الموضوع بأن الأمر ليس دعاية، بل وقد يتساءل الكثيرون وما هي العلاقة بينهما ؟ ويجيب بأن من جملة المبررات في ذلك أنه يود تقديم إسهام خاص بسوسيولوجيا المنتجات الفكرية، أو سوسيولوجيا عن المثقفين إلى جانب تحليل الفتشية والسحر.(5) أي سوسيولوجيا يكون موضوعها المثقف في علاقته بالقضايا الاجتماعية وبثقافة المجتمع.

وفي عبارة أوضح ضرورة التذكير ما دمنا بصدد الثقافة والمثقف بغياب التجانس الثقافي حتى داخل المجتمع الواحد. أي أنه لا توجد في الواقع ثقافة للجميع، وإنما توجد أنماط ثقافية مختلفة قد تتناقض مضمونا ووظيفة داخل المجتمع الواحد، على الرغم من وجود بعض الخصائص المشتركة منها:

1- أن الثقافة كمجموعة من المعطيات الفكرية والعاطفية والمادية تحافظ على كلية تترابط فيها المعطيات ترابطا يكسبها دلالتها و لا تفسر خارجه.
2- التشكيل: و الذي تختلف قوته و مرونته بحسب الحالات، و الذي يستحيل دون حدّ أدنى منه التمكن من الظاهرة الثقافية.
3- التعلم: و يقصد به أن ما هو ثقافي لا يورث، بل يكتسب عن طريق التنشئة الاجتماعية. لذلك فالثقافة ليست أمرا بيولوجيا أو طبيعيا.
4- المشاركة: أي أن الميزة الأساسية للظواهر الثقافية هي اشتراك جماعة من الناس في الموقف منها، والعبرة هنا ليست بالعدد – عدد الجماعة – (6) وإنما فعل المشاركة في الحياة الاجتماعية.

إن ما يمكن التأكيد عليه بخصوص مصطلح "الثقافة " هو هذا الكم الهائل من التعريفات التي أعطيت له والتي صنفت إلى عدة تصنيفات متباينة ومختلفة، بسبب اختلاف المناهج، والرؤى الفكرية. وبالفعل يمكن الجزم اليوم بأنه لا يوجد مصطلح آخر عدا عن مصطلح " مجتمع" يكون قد لقي مثل هذا الاهتمام، وهذا الرواج. زيادة على ذلك نجد بأن مصطلح " ثقافة " يقابله عادة مصطلح آخر هو مصطلح "حضارة " الذي يتداخل معه. وهو المصطلح الذي ظهر في اللغة الفرنسية حوالي سنة 1766 أي في نفس الفترة تقريبا التي ظهر فيها مصطلح ثقافة علما بأن مصطلح "حضارة " لا يشير دائما إلى نفس المعنى في اللغتين الفرنسية والألمانية، بل وحتى في اللغة العربية.(7) وبخاصة عندما يقصر اهتمامه على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية.

- مفهوم المثقف:

حرصنا منذ البداية التشديد على أن عملية تحديد مفهوم "المثقف" ليست أمرا يسيرا. فهي إجراء نظري معقد لأنها تتصل بالأفكار، أي بالأيديولوجيات، المتصلة بدورها ولو بصورة قد تكون غير مباشرة بالمصالح المادية أو الموضوعية، أو الذاتية. ثم إن الحديث عن موضوع "المثقف" يأخذ أبعادا، وتشعبات عدّة، منها على سبيل الذكر لا الحصر تلك المرتبطة بالتصنيفات، أو بالأنواع، كما بالبدايات، أو بالجذور التاريخية لظهور هذا المفهوم أو في اقترانه بحادثة "درايفوس" وفي ارتباطه بتحمل المسؤولية التاريخية من قبل " إميل زولا" عبر مقاله "إني أتهم" –(J'accuse) – ومن ثم استحداثه في اللغة العربية، الذي جاء كترجمة للمصطلح أو للكلمة الأجنبية (Intellectuel).

لذلك فإن أية محاولة لتحديد مفهوم "المثقف"، ستعترضها مشكلة أساسية تتمحور حول مدى الاستقلالية التي يمكن أن يتمتع بها المثقف، وطبيعة الدور الذي يلعبه داخل المجتمع. وبتعبير آخر لا تنحصر المشكلة في إعطاء تعريف بسيط أو مبسط لمفهوم " المثقف" مثلما تفعل مثلا قواميس اللغة كـــ "روبار الصغير" مثلا الذي يعرف "المثقف" "بأنه ذلك الذي كرّس حياته للفكر". أو قاموس " لا روس" الذي يعرفه بأنه " ذلك الذي ينتمي إلى الفكر إلى النشاط الذهني أو إلى العمل الفكري. أو هو كل شخص تقوم وظيفته على النشاط الذهني و له تذوق مؤكد للنشاطات الذهنية ".[(8)] ولربما كانت هذه هي الميزة التي تجعلنا نطمئن إلى أن المثقف وإن خفت صوته، أو غاب عن ساحة النقاش كمشتغل بالفكر، أو كصاحب سلطة رمزية، لم ينته بعد، حتى وإن اختلفت صورته وتلون صوته. فمن المثقف الملتزم، إلى المثقف المسؤول، إلى المثقف الناقد، إلى المثقف النوعي إلى غير هذا من النعوت ، التي ينذر أن تذكر كلمة مثقف بمعزل عنها، وهذا إن دل على شيء فأنه يدل على مدى انتشار تداول هذا المفهوم، وتطوره عبر مراحل تاريخية مختلفة، وإن كان من الصعوبة بمكان تحديد أصل هذه الكلمة، التي يرجعها البعض إلى اليونان القديمة، بينما يرجعها البعض الآخر إلى عنصر الأنوار.

من ذلك يمكن القول بأن أي مفهوم، كي يفهم على وجه الدقة، والتحديد نحتاج فيه إلى مساءلة التاريخ أو العودة إلى الظروف التاريخية التي أدت إلى ظهوره. عموما وأيا كان الأمر، فإن أي محاولة لتعريف مفهوم " المثقف" لا يمكنها تجاوز مساهمة " أنطونيو غرامشي" المتميزة في هذا المجال. والذي يعرفه بطريقتين إن صح القول حيث تتمثل الأولى في تحديده – مفهوم" المثقف" – من خلال المكانة، والوظيفة التي يؤديها ضمن البنية الاجتماعية، وهنا يتعلق الأمر بالمثقف العضوي. وأما الثانية: فتقوم على تحديده لمفهوم "المثقف" بالرجوع إلى المكانة، والوظيفة التي يقوم بها المثقف ضمن السياق التاريخي، ويتعلق الأمر في هذه الحالة بالمثقف التقليدي. علما بأن "غرامشي" كان يقصد بالمثقف التقليدي ذلك المثقف الذي ارتبط عضويا بطبقات اجتماعية ولّت، أوهي في طريقها إلى الزوال، ولقد عمد " غرامشي " بفعل مثل هذا التمييز للضرورة المنهجية ليس إلاّ.

لقد رفض "غرامشي" أن يقام التميز بين "المثقف"، وغير المثقف على أساس التمييز الشائع أو المتداول الذي يتم على أساس التفرقة ما بين العمل اليدوي والعمل الفكري. فالتميز عند غرامشي يبنى على أساس المكانة، والوظيفة التي يؤديها "المثقف" ضمن مجموع العلاقات الاجتماعية. وبالتالي وحسب "غرامشي" فإن لكل طبقة اجتماعية مثقفيها العضويين، وهو ما لا يعني بالضرورة أن يكون الأصل الاجتماعي للمثقف من نفس الطبقة الاجتماعية التي يرتبط بها عضويا. "إن المثقف هو المنظم على المستوى الاقتصادي، الاجتماعي

الثقافي والسياسي لإدارة، وهيمنة هذه الطبقة أو تلك على مجموع المجتمع" [9] فكأنه العقل المدبر لهذه الطبقة في تعاملها وتصرفها نحو المجتمع.

أما "سارتر" الفيلسوف الفرنسي والمثقف الملتزم، الذي كان يصر دوما على أن على الفيلسوف واجب المشاركة في صنع التاريخ فيرى بأن المثقف هو: " كل شخص بلغ الشهرة بفضل أعماله في مجال الفكر، ويستغل تلك الشهرة للتدخل في أمور خارج مجال تخصصه، أو باختصار التدخل فيما لا يعنيه ". إن موقف "سار تر" من المثقف لم يأت من العدم ولكنه نابع من تجربته الذاتية، تجربته للسجن أثناء الحرب العالمية الثانية، أين كتب وأخرج ، لزملائه الذين كان قد استبد بهم اليأس مسرحيته الأولى داخل السجن. لذلك نجد بأن " سار تر" عندما يتكلم عن المثقف فإنه يقصد المثقف الملتزم، إن سياسيا، أو فلسفيا، وما تأسيسه لمجلة " الأزمنة الحديثة " إلا عملا لا يمكن إدراجه إلاّ في هذا الإطار. ولقد صرح في هذا الاطار يقول " إننا نصطف إلى جانب الذين يريدون تغيير الظرف الاجتماعي للإنسان، والتصور الذي لدى الإنسان عن نفسه ". [10] ويضيف إن علينا بالالتزام مثلما علينا أن نكون أحرارا. إن ما يفهم من كلام "سار تر" هو أن على المرء وحتى يكون حرا، أن يسعى إلى صون الحرّية بالممارسة الواعية لتلك للأفكار في ارتباطها بالحركة الجماهيرية عموما.

وفي نفس الاتجاه يذهب كل من "باسكال أوري" " **Pascal Ory** " و"جون فراسوا سيرينال" " **Jean François Sirinell**" في مؤلفهما " المثقفون في فرنسا من قضية دريفوس إلى يومنا هذا " في تعريفهما للمثقف عندما يؤكدان بدورهما على أنه لا وجود للمثقف إلاّ عند نقطة التقاء الفكر بالسياسة، فما نلمسه في هذا التعريف هو رفضهما للتعريف الواسع للمثقف. فبحسب هذين المؤلفين " المثقف" ليس الشخص الذي يفكر فقط، وإنما ذلك ا لشخص الذي يعمل على إيصال ما يفكر فيه إلى الآخرين، أي عبر التأثير على الأفراد، سواء عن طريق العرائض (**Pétition**)، أو المنصات، أو بالكتابة، وغيرها من الممارسات الأخرى. فالمثقف بالنسبة لهما " رجل ثقافة، مبدع، أو وسيط، يوجد في وضعية رجل السياسة، وهو منتج، أو مستهلك للأيديولوجيا. كما أنه ليس فئة اجتماعية مهنية بسيطة، ولا إنسانا عاديا، فهو إنسان يتعذر تبسيطه، ذلك أن الأمر يتعلق بمكانة متفوقة نتيجة إرادة فردية، لكن موجهة نحو الاستخدام الجماعي" [11] أو قل أن المثقف في كل هذا إنسان مركب.

إن مثل هذا التعريف للمثقف، ليحيلنا مباشرة إلى لحظات تاريخية كان لها الأثر على توجيه الفهم بشان فكرة " المثقف" ألا وهي اللحظة الأولى عندما كتب " إميل زولا" في جريدة "لورور" " **l'Aurore** " بتاريخ 13جانفي1898، منددا بمواقف بعض الشخصيات ومدافعا عن "دريفوس" الذي اتهم زورا بالعمالة،

والتجسس لصالح ألمانيا، وحكم عليه بالنفي إلى غويانا. وأما اللحظة الثانية، فكانت عندما ردّ "كليمونصو" " **Clemenceau** " بتاريخ 23 جانفي من نفس السنة، إذ كتب يقول : " أليست هذه إشارة كل هؤلاء المثقفين الذين جاءوا من كل الاتجاهات واجتمعوا للدفاع عن فكرة؟ ".[12] وفي عبارة مختصرة قد ارتبط المثقف بمواقف تاريخية حاسمة.

لقد أعطى" إميل زولا" بموقفه ذلك معنا محددا للمثقف. وهو أن المثقف وإن كان رجل فكر، أو ثقافة فهو أيضا رجل مناضل، مهتم بالشأن العام، وبالشأن السياسي، وبالدفاع عن الحق، والحرية. وهو ذات المعنى أو القصد الذي ذهب إليه "علي حرب" في كتابه" أوهام النخبة أو نقد المثقف" عندما عرف المثقف بقوله"... ولكن أيا ما كان نموذج المثقف وحقل اختصاصه أو مجال عمله، فهو من يهتم بتوجيه الرأي العام، أو من ينخرط في السجال العمومي، دفاعا عن قول الحقيقة، أو حرية المدينة أو مصلحة الأمة أو مستقبل البشرية... والمثقف بصفته يستخدم سلطة الكلام أو الكتابة، ويعمل في حقل الإنتاج الرمزي...إنما يتصرف كصاحب حظوة وامتياز" [13] أو ما معناه ان المثقف فاعل بالأساس اجتماعي.

إن المثقف بحسب "علي حرب"، وإن كان يشغله هم العامة، ويهتم بالقضايا الإنسانية، والحياتية الماضية، الحاضرة والمستقبلية، إلا أنه ليس من السواد من الناس، لأنه يشتغل في الحقل المعرفي، أو الثقافي، ولأن عليه تجاوز قوالب التفكير الجاهزة على النحو الذي يسمح له بالابتكار، والتجديد ،تعرية الواقع، نبش الممنوع، وسؤال المحرم والقداسات. إن المثقف "... بصفته يهتم بشؤون الحقيقة، و الحرية، والعدالة، وسواها من القيم العامة ... يتعيش من الكلام على الانتهاك الذي تتعرض له الحقوق والحريات. هذا دأبه منذ تكون نمطه وتشكل مفهومه...".[14] أو كأن " علي حرب" أراد أن يقول: يفترض في المثقف أن لا يقدر على السكوت.

وإذا كان مفهوم المثقف اليوم قد اتسع ليشمل جميع الذين يشتغلون بالثقافة، فيجب وكما ذهب إليه " محمد عابد الجابري " من إعادة هذا المفهوم إلى معناه الأصلي، أو كما عبر عنه هو إلى معناه " القوي" الذي اكتسبه مع قضية "دريفوس". وبالتالي فإن المثقف لا يتحدد وضعه من علاقته بالفكر، والثقافة أو بكونه لا يكسب عيشه بالاعتماد على جهده العضلي لكن بالدور، وبالوظيفة التي يؤديها داخل المجتمع. أو كما عبر "بول باران " عندما يتعلق الأمر بالقضايا الاجتماعية، والتاريخية يجب البحث في الحد الذي يفصل " العامل الفكري" عن المثقف، بما أن " العامل الفكري " هو خادم الطبقة المسيطرة التي تعمل على إبقاء الوضع على ما هو عليه، بينما يسعى المثقف بالقول و بالفعل إلى تغيير و تجاوز ذلك الواقع. والمثقف حسب "

الجابري " يجب أن تتوفر فيه جملة من الشروط على رأسها أن يكون شجاعا، ومستعدا للذهاب بالبحث العقلاني إلى أبعد الحدود، وأن يقوم بنقد صارم لكل ما هو موجود، فهو الناقد الاجتماعي، والناطق باسم قوى التقدم، الذي لا مناص له من أن ينعت بأنه شخص يثير العراقيل والفتن.[15] إن المثقف والحال هاته لا بد أن يتسم بالحرص على الدفاع عن حريته، حريته في التفكير، وفي استخدام عقله، ولذلك فهو أحوج ما يكون إلى التمتع بالاستقلالية والإرادة الحرة.

لذلك نجد " الجابري " حين يهتم بالمثقف في الحضارة العربية الإسلامية، في محاولة لتحديده، والتعريف به، يؤكد مرّة أخرى على جملة من الأوصاف. لربما من أهمها أنه من العامّة ومن الخاصة في آن واحد، زيادة على أنه يعيش من العطاء، ويحتمي بالعقيدة لا بالقبيلة. وبما أنه صاحب فكر فإنه يحول تلك العقيدة إلى "رأي" له يتميز ويعرف به. وهو فوق كل هذا من الحضر لا من البادية. ولا ينسى " الجابري" في عرضه لهذه الأوصاف جميعا أن يربط ظهور هذا المثقف في الحضارة العربية الإسلامية بظهور الخلاف.

وعليه " فالمثقف" في الحضارة العربية الإسلامية حسب " عابد الجابري" وإن كان ينتمي إلى الرعيّة، فإنه من الخاصّة لأنه صاحب معرفة، تمنحه امتيازا، كما تمنحه سلطة وجاها. وهو وإن احتمى بالعقيدة، فإنه صاحب رأي ويدافع عنه، بل ويسعى إلى نشره، في أوساط العامة، كما يجعل من الأطر الاجتماعية موضوعا لكلامه.

هذا ما يقودنا إلى القول بأن المثقف موجود ضمن سياق اجتماعي. ولذلك لا يمكنه إلا أن يؤثر ويتأثر به. إنه "... فاعل اجتماعي جمعي، وليس مجموعة أفراد يشتركون في نشاط مهني، أو علمي، أو ذهني واحد يقرب ما بينهم. وعندما نتحدث عن فاعل اجتماعي فنحن نشير إلى قوة محركة ديناميكية اجتماعية، أي إلى مبدع فكري" [16]. ولذلك لا يمكن أن تتطابق صورة "المثقف" في كل الحالات وفي جميع الأحوال لأنها تتأثر بطبيعة السياق التاريخي الذي يعيش فيه. ومن تم فلا عجب أن تختلف السمة الخاصة بالمثقف العربي، أو العالم ثالثي على سبيل المثال، عن تلك التي تميز المثقف الغربي الذي كان ظهوره داخل المجتمع الصناعي.

وعليه وإزاء تأثر " المثقف " بالسياق الاجتماعي، يكون من المفيد التساؤل حول مدى استقلالية المثقف عن أية روابط بأية طبقة، أو فئة، أو جهة، أو أية مصلحة كانت.

استقلالية المثقف:

ونحن بصدد المثقف نتناول أيضا إشكالية مدى استقلالية المثقف حيال الأوضاع، والظروف المحيطة به. فإلى أي مدى يمكن الحديث عن المثقف الحر، أو المثقف المستقل؟ عندما نستشف من قراءتنا للتعريفات السابقة حول المثقف بأنها تكاد تتفق على أن " المثقف" إنسان يجب أن يكون فوق مستوى الشبهات، بما أنه مشغول بهم العامة، وبما أنه العين الناقدة، حارس المعبد، أو الناقم على الفساد الاجتماعي.

لقد ابتدأنا تعريفاتنا لمفهوم المثقف بتعريف "غرامشي" ولم يكن ذلك محض صدفة بل قرارا اتخذناه. لقد صاغ "غرامشي" هذا الإيطالي الذي عاش في القرن الماضي، مفهوم "المثقف العضوي" وكان يقصد به بأن لهذا المثقف دور، أو وظيفة، ومسؤولية تجاه الطبقة التي يعمل لصالحها من جهة، وعينها الناقدة من جهة أخرى. وبتعبير أدق " المثقف العضوي" ليس مجرد انعكاس مباشر لهذه الطبقة الاجتماعية أو تلك، أي أنه يتمتع بنوع أو بقدر من الاستقلالية عنها. هذه الاستقلالية النسبية التي دفعت بـــ " بيار بورديو" في رده على سؤال حول مدى تبعية المثقف للطبقات المهيمنة إلى الاعتراف بأنه ضد هذا الوهم السائد الذي يصور المثقفين على أنهم من دون ارتباطات أو من دون جذور، مذكرا في ذات الوقت بأن المثقفين وباعتبارهم أصحاب "رأسمال ثقافي " يشكلون الجزء المهيمن عليه ضمن الطبقة المهيمنة. ولذلك نجد بأن الكثير من مواقفهم السياسية متأثرة بطبيعة وضعية الهيمنة هاته حصوصا وأنهم المهيمن (بفتح الميم) عليهم ضمن المهيمنين (بكسر الميم). ويضيف "بورديو" إلى ذلك بأن الانتماء إلى الحقل الثقافي لا تستتبعه مصالح مادية فقط، ففي موسكو كما في باريس على حد تعبيره تمنح المناصب الأكاديمية، أو عقود النشر، بالإضافة إلى رموز العرفان، العطايا، والمنح، التي لا يتفطن لها ولا ينتبه إليها أولئك الذين ليسوا من الوسط.(17) وكأن "بورديو" يسجل هنا اعترافه بانحياز "المثقف" الى هذا الموقف، أو ذاك، أو إلى هذا الطرف على حساب الطرف الآخر.

ثم إن " بورديو" لا يكتفي بهذا التوضيح، بل يقترح ما أسماه سوسيولوجيا المثقفين التي يمكن تمنح لهم الإمكانية للحرية. فهؤلاء المثقفين الذين يعتقدون بأنهم يهيمنون على عصرهم، هم في الغالب مهيمن عليهم من قبل عصرهم هذا، حتى أنهم غالبا ما ينتهون بنهايته، فعلم الاجتماع يقدم للمثقفين الفرصة لقطع الجاذبية والتنديد بالعلاقة المالك المملوك، التي تقيدهم. إن المثقفين إذ يعتقدون بأنهم مواكبون للأحداث اليومية، هم في الواقع على ذوق ذلك اليوم. (18) أو هم يعيشون على وقع العصر.

إن "بيار بورديو" وعبر موقفه هذا يعري حقيقة المثقفين، الذين يعتقدون بأنهم وحدهم من يملك مفتاح الحقيقة في الوقت الذي هم غير قادرين أصلا على التخلص من تأثير الواقع المعاش عليهم، بغية بناء تصور

مستقبلي، أو صياغة رؤية استشرافية. فهم منشغلون بالبرهنة على أنهم مع العصر ويجارون الموضة، علما بأن سمة المثقف لا تكمن في مجاراة الموضة – موضة الأفكار- بقدر ما تتجلى في قدرته على اكتشاف ما يفرضه عليه تاريخ ومنطق الحقل الثقافي التفكير فيه في ظرف معين مع ما قد بتوهمه من حرية.[19] أي أن المثقف محاصر بما يفرضه عليه الواقع الاجتماعي من تحديات في ظل الظروف والأوضاع الاجتماعية السائدة.

من ذلك وما دمنا بصدد مدى استقلالية أو تبعية المثقف وللأمانة العلمية لا بد أن نذكر بأن الآراء حول مدى هذه الاستقلالية، أو التبعية ليست موحّدة، ولا واحدة. ويمكن في هذا الباب التذكير على سبيل المثال لا الحصر بموقف "موسكا" ثم من بعده ببضعة عشرات من السنين "كارل منهايم" وغيريهما ممن اعتقدوا في إمكانية أن يشكل المثقفون جماعة مستقلة من دون أية ارتباطات اجتماعية.

فـــ "موسكا" مثلا ينظر إلى المثقفين باعتبارهم جماعة موجودة في وضع وسط ما بين البرجوازية والبرولتياريا، وهي قادرة على أن تصبح نواة لنخبة جديدة. ويقول في هذا الإطار " إذا كانت هناك طبقة اجتماعية مستعدة ولو للحظة لنسيان المصلحة الخاصة، من أجل المصلحة المشتركة ... فإنها من دون شك، تلك الطبقة التي سمح لها تكوينها الفكري بامتلاك ما يمكن أن يعبر عن كرامة الأخلاق، سعة الأفق، وعن الطاقات المتفتحة ... هذه الطبقة هي الوحيدة القادرة على التضحية بمنفعة آنية من أجل تفادي الشر في المستقبل".[20] وكأن "موسكا" بهذا الرأي يشيد بقدرة المثقفين على التمتع باستقلالية تفيد في التطلع الى المستقبل.

أما "كارل منهايم" فينظر إلى المثقفين على أنهم شريحة اجتماعية وهي تقريبا من دون انتماء طبقي. شريحة متجانسة، يمكن أن تتمتع بمعرفة كاملة، وموضوعية نسبيا عن المجتمع، وبشكل خاص عن مختلف جماعات المصالح التي تتعايش بداخلها – داخل الشريحة - كما يمكن أن تساهم بحرية في ترقية المصالح الاجتماعية الأكثر عمومية.

الواقع، أن المثقفين وكما ذهب إليه "بوتومور" وإن كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلالية مثلما يبدو أحيانا إلا أنهم وعبر تجارب تاريخية عديدة قد استطاعوا أن يشكلوا نخبة جديدة ناضلت من أجل السلطة تحت شعارات مختلفة. ويمكن تلمس هذا من خلال الاطلاع على تاريخ المجتمعات الغربية كيف أن الحركة العمالية، التي وعلى عكس الحركات الاجتماعية التي سبقتها لم تكن حركة احتجاجية ظرفية، بل حركة حوت نظرية حول المجتمع كان للمثقفين دورا بارزا في صياغتها.

هذا ويعبر "ريمون آرون" في مؤلفه "أفيون المثقفين" عن نفس الموقف تقريبا عندما لاحظ تلك الروابط الضيقة التي ربطت المثقفين الفرنسيين بالإدارة وبالحياة السياسية مقارنة مع نظرائهم في إنجلترا، ألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية. ففي دراسة حول أعضاء غرفة النواب الفرنسية عن الفترة الممتدة ما بين 1871 و 1958 أتضح أن نصف الستة آلاف (6000) نائب منتخب عن هذه الفترة كانوا من المثقفين بالمعنى الواسع للكلمة – كتاب جامعيون، رجال قانون، صحفيون، مهندسون، مربون – ويقال في فرنسا بأن المثقفين هم الذين ساهموا بشكل أكبر في إعطاء النقاش السياسي داخل غرفة النواب، في الجمهورية الرابعة، كما الجمهورية الثالثة طابعا حماسيا. "... لقد كان بمقدورهم طرح المشكلات في شكلها المجرد، وبطريقة متميزة. إلا أنهم بالمقابل كانوا ميالين إلى اقتراح الحلول الأقل واقعية، والاهتمام بالتدقيق في الأمور على حساب المسائل الأساسية. فقد كانوا يعقدون ويطيلون النقاش دونما فائدة بابتداعهم للمشكلات والخصام فيما بينهم" [21]. بتعبير آخر يميل "ريمون ارون "إلى الاعتقاد في أن حماسة المثقفين لم تكن كافية لتشفع لهم قصورهم حالما تعلق الأمر بابتداع أو اقتراح وتقديم الحلول التقنية الدقيقة للمشكلات المطروحة.

والحال هذه فكأنما المثقفون عندما يتحولون عن القيام بدورهم الأساسي، دور الناقد الاجتماعي، إلى ممارسة السلطة تجدهم يتحولون عن الاهتمام بالمسائل الجوهرية المتعلقة بمستقبل الإنسان، إلى الاهتمام بالأمور الجزئية أو الثانوية. وهو الموقف الذي عبر عنه "نديم البيطار" بقوله: " عندما يقترن الفكر بالنظام القائم يتعرض – هذا إن لم نقل ينحسر – إلى فقدان هذه التصورات المستقبلية والأبعاد النظرية الجامعة والبعيدة المدى التي تترتب عليها وإلى الانشغال بمشاكل جزئية منفصلة ومحدودة يضيع فيها، ما كان سابقا نظرة جامعة يتحلل إلى مشاكل حسية..." [22] وعليه فالحرص على استقلالية الفكر مثلما هو الشأن بالنسبة للمثقف يصبح أمرا جوهريا حتى لا يحيد عن لعب دوره الاساسي في المجتمع، وفي دق ناقوس الخطر كلما استدعت الضرورة ذلك، أو هكذا يفكر "نديم البيطار" .

إن ما يمكن قوله في هذا الخصوص هو أنه وبغض النظر عما إذا كان المثقفون يشغلون وظائف خاصة أو عن وضعيتهم الاجتماعية، فإنه ليس لهم مفر من الاشتغال بالقضايا المصيرية للمجتمعات وللإنسانية قاطبة. ذلك أن لهم وظيفة اجتماعية خاصة، وهي كما وضحها "برهان غليون" تختلف عن وظيفتهم المتعلقة بالمعرفة مراجعتها والتدقيق فيها وفي سياق وشروط إنتاجها إنها "وظيفة إنتاج المجتمع نفسه من حيث هو آلية تختص بجمع وتوحيد الأجزاء والعناصر التي يتألف منها، وبث الروح الجمعية فيها وتحويلها بالتالي إلى كيان حي قادر على الحركة والتنظيم، والتنسيق، والتحسين، والإصلاح".[23] بل قل ببث عزيمة الحياة في المجتمع.

وبالفعل يقف المتتبع لمسار التاريخ على حقيقة الدور الذي لعبه المثقفون ضمن هذا المسار، وفي تحديد اتجاهه. مند عصر الأنوار، من "فولتير"، و "روسو"، "إميل زولا"، إلى " جون بول سار تر"، و "بور ديو". هؤلاء الذين شاركوا بفعالية في صوغ الأحداث وفي التأثير في دينامكيتها. لقد كان هؤلاء فاعلين اجتماعين داخل مجتمعاتهم بصورة خاصة، وفي تاريخ الإنسانية بشكل عام، من خلال أعمالهم الفكرية ومواقفهم كونهم لم يكتفوا بتوضيح وشرح القضايا المجتمعية، بل عملوا على رسم الطريق التي يجب قطعها من أجل بناء مستقبل أرقى.

والحق أن سلطة المثقف، ترتبط بقوة الأفكار التي يعبر عنها، ويمارسها داخل المجتمع. ولقد استطاع أن يحارب التطرف واللاتسامح بقوة الفكرة القريبة من المثالية التي بهرت وتبهر الأفراد، تجندهم وتدفعهم نحو الفعل. " إن الأفكار في الحقيقة وبعيدا عن أن تكون مجردة بشكل كلي فإنها تتضمن مفهوما معنويا. ثم إن الأفكار التي تسعى لتأخذ شكلا حساسا وملموسا، من خلال وبواسطة الفاعلين الإنسانيين، تؤدي إلى تحديد نمط معين للسلطة". (24) وبالتالي فان سلطة المثقف تكمن الى حد معين في تحويل الأفكار التي يقول بها الى واقع ملموس ومعاش.

إن المثقفين إذ يؤثرون في الأفراد فلأنهم يعبرون عن الطموحات، وعن المطالب الكامنة لهؤلاء الأفراد. ثم إنهم يستمدون سلطتهم أساسا من مساهمتهم في تحديد القيم الاجتماعية، ومن انخراطهم في العمل السياسي، وإلا تحولوا إلى مجرد موظفين، أو حرفيين. لذلك يمكن إلا أن نصفهم بأنهم "... المعبر عن ضمير الأمة، العاملون عن طريق الفكر على تغيير واقع مجتمعاتهم وعلى رسم المشروعات الضرورية لبناء مستقبلها". (25) وعليه فعلى المثقفين لزوما العيش في وسط الناس والنزول الى معترك الحياة الاجتماعية بتفاصيلها اليومية، وتحمل مسؤولياتهم التاريخية.

من ذلك يمكن أن نخلص إلى أن المثقف لا يقف على الحياد، ويشترط منه الموقف المسؤول تجاه قضايا مجتمعه، بقيامه بوظيفته النقدية تجاه المجتمع بصفة عامة، وبالالتزام بالدفاع عن القيم الإنسانية المرتبطة بالديمقراطية الحرية، والعدالة الاجتماعية، بغض النظر عن النعت الذي قد يردف به.

إن دور المثقف لا يؤت إلا من خلال "صناعة الرأي العام، و صوغ الوعي الجماعي، وبالتأثير في الدينامية الاجتماعية والسيرورة التاريخية..." (26). واليوم لا أحد يمكنه أن ينكر كيف قدم الفلاسفة التنويريون خدمة غير مسبوقة، وغير مقدرة بثمن لأوروبا أولا، وللإنسانية ثانيا، من خلال أعمالهم الفكرية، وموسوعتهم

الفلسفية حينما أنجزوا ثورة ثقافية حقيقية بفعل إنتاجهم لمنظومة فكرية ومعرفية جديدة، خاطبوا فيها ولأول مرة في التاريخ جميع الفئات الاجتماعية، النخبة والعامة على حد سواء.

فالمثقف يجب أن يكون مستقلا، متبصرا، حذرا حيال تدجين السلطة له. وإذا ما كانت أولى المعايير المحددة له العمل بالحقل الفكري أو الثقافي، فإنه ملزم بتبني قضايا، ومشكلات مجتمعه، وزمانه، وبالنزول إلى الميدان للدفاع عن مبادئه وقناعاته. والمثقف لن يكون كذلك، إلا بقدر تعبيره العلني عن مواقفه، وسعيه إلى تجسيدها عمليا على أرض الواقع.

أصناف المثقف:

بغض النظر عن التصنيفات، والتسميات، فإن الاقتراب من كلمة "مثقف" كما هي متداولة في الخطاب المعاصر، مثلما تملي علينا العودة إلى مرجعيتها الأصلية، إلى اللغة الفرنسية أساسا، تحتم علينا الرجوع إلى النقاش الدائر أيضا حول أصناف أو تصنيفات المثقف الناجمة ليس عن فراغ، ولكن عن واقع ملموس نتج بدوره عن تحول، وتطور في الظروف التاريخية التي شهدت ظهور المثقف، وفي الأدوار المطلوبة أو المتوقعة منه، وفي ارتباطات تلك التوقعات، أو الأدوار، بالظروف الاجتماعية والسياسية الخاصة بكل مجتمع على حدة من جهة، كما بطبيعة الظروف العالمية المحيطة من جهة أخرى.

فمنذ أن ظهر مصطلح" المثقف" منذ قرنين أو يزيد، شهدت فرنسا مصدر هذا المصطلح، كما شهد العالم تطورات بل تقلبات تاريخية لا نظير لها. ومن حادثة "درايفوس" إلى يومنا هذا عرف العالم على الأقل حربين عالميتين، قيام وانهيار ما كان يعرف سابقا بالاتحاد السوفيتي، ومجموعة البلدان الاشتراكية بأوروبا الشرقية، مع ما ارتبط بذلك من أحداث تاريخية، ومفاهيم عديدة: كالحرب الباردة، الثنائية، فالأحادية القطبية، لينتهي العالم أخيرا إلى نظام العولمة، وسيطرة الولايات المتحدة على العالم، وانعكاسات ذلك كله على منظومة القيم المعايير والمفاهيم على المستوى العالمي.

لذلك فإن فهم التصنيفات، أو الأوصاف التي ارتبطت بلفظ" المثقف" لا يمكن أن يتم بشكل علمي إلا في إطار هذه التحولات التاريخية. فالمفهوم عندما يشتق أو يشحذ، وعندما يتطور ويأخذ معاني ودلالات مختلفة فإن ذلك لا يتم بمعزل عن السياق الاجتماعي، والتاريخي الذي يجري فيه، وبالتالي فإن تحقيق الفهم الموضوعي لأصناف" المثقف" لن يكون ممكنا إلا بردّه لسياقه التاريخي والاجتماعي. وعليه فإننا إذ سنناقش جملة من

التصنيفات المرتبطة بالمثقف، فإننا سنفعل ذلك بغرضين: لفهمها وتوضيحها أولا، وللتعرف على الدور التاريخي والاجتماعي للمثقف ثانيا.

1- المثقف الملتزم:

لم يكن لموقف "زولا" من قضية "داريفوس" ليمر دون أثر، بل أن الرهان كله حول دور المثقف في المجتمع وعلاقته بالسلطة ينبع بالأساس من ذلك الموقف التاريخي. ليستمر إلى حد الساعة عبر العديد من المواقف والكتابات التي اهتمت أو تناولت موضوع المثقف.

وعندما نتكلم، أو نكتب عن المثقف الملتزم، فإنه لا يمكن إلا أن نتذكر الكثير من مواقف المثقفين الذين عرفوا بمعاداتهم ونضالهم ضد الظاهرة الاستعمارية، ضد الحروب، ضد الفاشية، ضد النازية، ضد الديكتاتوريات وضد كل الأنظمة الشمولية. لقد كانت مواقف التزم فيها هؤلاء المثقفون، بالانتصار للقيم التي اعتقدوا بأنها تحمي كرامة وحرية الإنسان.

لقد أراد هؤلاء المثقفون من خلال التزامهم البرهنة على أن التحديات التاريخية تفرض على المثقف اتخاذ موقف محدد إزاءها، لأن الواقع دلّل ويدلل دوما على أن الأفكار لوحدها لا تقود العالم، وإذ فرضت فلسفة الالتزام نفسها، فعلى اعتبار أن رفض الالتزام هو بعينه رفض للواقع. وضمن هذا المسار جسد الفيلسوف "سارتر" وغيره من المفكرين مغزى ومعنى الالتزام. إذ ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، وإلى غاية ماي 1968، أمكن القول بأن تاريخ المثقفين، وبخاصة أولئك الذين يمكن تصنيفهم ضمن خانة اليسار، كان تاريخا لرسم صورة المثقف الملتزم. إلا أنه وبدءا من ثمانينات القرن الماضي ستظهر العديد من الكتابات التي اهتمت بالمثقفين، تدور في مجملها حول فكرة احتمال زوال هذه النوعية من المثقفين، ولو أن مثل هذا الطرح في الواقع لم يكن جديدا كلية فقد كان "ريمون آرون" قد سبقها إلى ذلك ، وتحديدا عام 1955، عندما انتقد في كتابه "أفيون المثقفين" مثقفي اليسار، محاولا في ذلك تشريح وضعية الاغتراب التي يعيشونها.

ويمكن الحكم هنا بأن القضية التي تكاد تجمع عليها جل الكتابات المهتمة بالمثقف، هي أن فترة الثمانينات من القرن الماضي قد سجلت نهاية "السادة المفكرين" أو غياب "المثقف الملتزم"، على شاكلة "سارتر". وبالتالي غياب صورة المثقف باعتباره مفكر كبير، له الحق أو شرعية التدخل فيما لا يعنيه، وفيما هو ليس من اختصاصه. ويؤكد "لويس بودان" "Louis Boudin " هذه الحقيقة عندما يشير إلى أن بداية الثمانينات قد سجلت القطيعة الكبرى مع "سادة الفكر" بوفاة هؤلاء المفكرين الكبار. فمن "سارتر" إلى "بوفوار" إلى

"أرون" "التوسير" فـــ "مشال فوكو" (1984) ثم "بيار بورديو" (2002)، الذي كان بمثابة إعادة بعث أخيرة للمثقف الكبير الملتزم الذي انهار [27] بانهيار جدار برلين وما تبعته بعد ذلك من أحداث قلبت موازين القوى، وأعادت تشكيل خارطة العالم.

2- المثقف النوعي:

انهارت صورة المثقف الملتزم، و ظهرت كتابات كثيرة تبحث عن صورة أخرى، أو دور جديد للمثقف، و من بين هذه الكتب، كتاب "فر انسوا ليوتار" "**François Lyotard**" الذي صدر سنة 1984، تحت عنوان " قبر المثقف" الذي أعلن فيه نهاية المثقف الكوني.

لكن ما لا يمكن الإفلات منه هو أن المثقف لا يزال، وأن صورته باقية وأن ما ينبغي هو تعديلها أو تطويرها لتتماشى والمستجدات الحالية. فوظيفة المثقف لا تزال قائمة، بل لا يمكن تجاوزها، أو الاستغناء عنها طالما أنه الضمير النقدي الحي للمجتمع الذي يعيش فيه.

لذلك عندما وضع "ميشال فوكو" مصطلحه الجديد الذي هو " المثقف النوعي" "**L'intellectuel Spécifique**" فبغرض الإقرار بأن "المثقف الكوني" قد ولّى من ناحية، والتأكيد على أن المثقف لا يزال حيّا من ناحية أخرى، وأن عليه أن يتكلم، لكن ليس في كل شيء هذه المرّة، أو فيما لا يعنيه، وإنما أن يتكلم، وأن يتدخل ضمن حدود اختصاصه، أو بما تسمح له به كفاءاته، التي يوظفها في تعرية الوقائع. إن المثقف عند "ميشال فوكو" يتكلم لكن فيما يعنيه فقط، ولذلك عليه بالعمل ضمن حدود اختصاصه.

ما يلاحظ هنا، هو أنه وحتى بالنسبة " للمثقف النوعي"، فإن المثقف لا يمكنه أن يكون إلاّ ناقدا للواقع حيث النقد وسيلته لتحسين شروط هذا الواقع، خصوصا وأنه صاحب معرفة متخصصة، أي أنه لا ينطق عن الهوى. ولكن عن دراية وتبصر " إن للمثقفين مشاكل نوعية خاصة، و غير كونية. وهي غالبا مختلفة عن مشاكل البروليتاريا أو الجماهير، إلا أنهم ورغم ذلك اقتربوا منهم، وأعتقد أن لذلك سببين هما: لأن الأمر يتعلق باتصالات حقيقية مادية ويومية، ولأنهم أيضا يصادفون دائما ذات الخصم وإن في شكل مختلف، كالشركات المتعددة الجنسيات، جهاز العدالة، البوليس، و المضاربة العقارية".[28] وعليه تكون السمة الأساسية للمثقف النوعي التخصص، زيادة على قربه من العامة من الناس.

3- المثقف الجمعي:

لا اعتراض لدي يقول "بورديو" على "المثقف النوعي" وإني أقترح ضم جهود المثقفين النوعيين بخلق شبكات تنجز عملا نقديا في مواجهة إنتاج التجمعات المحافظة المدعومة من الأقوياء، في إطار حقيقي "للمثقف الجمعي" القادر على تحديد موضوعات وأهداف تفكيره، وفعله في استقلالية تامّة.

إن على"المثقف الجمعي" حسب "بورديو" القيام أولا بوظيفة سلبية أي نقدية، من خلال العمل على إنتاج ونشر الأدوات الدفاعية ضد الهيمنة الرمزية التي تتسلح اليوم، في أغلب الأحيان بسلطة العلم. فـــ" المثقف الجمعي" القوي بالكفاءة وبسلطة الجمعي المجتمع، يستطيع إخضاع الخطاب المهيمن للنقد المنطقي الذي يهتم بالمصطلح أو بمفردات اللغة وبالحجج. ذلك أن النقد السوسيولوجي الذي هو امتداد للوظيفة الأولى، يساعده على كشف المحددات المؤثرة على منتجي الخطاب المهيمن (بدءا بالصحفيين والاقتصاديين خاصة) وعلى منتجاهم، كما يمكنه أخيرا القيام بنقد علمي دقيق للسلطة التي تدعي العلمية، أو علمية الخبراء، وعلمية الاقتصاديين بصفة خاصة. وثانيا: إمكانية تأديته لوظيفة إيجابية، بمساهمته في عمل جماعي يهدف إلى ابتكار سياسي. لأن الملاحظ يقول " بورديو" هو أن الهيار الاتحاد السوفياتي، ومجموعة لأنظمة الاشتراكية لأروبا الشرقية وضعف الأحزاب الشيوعية، قد أدى إلى تحرير الفكر النقدي، إلا أنه وبالمقابل أدى أيضا إلى سيطرة النيوليبرالية التي ملأت الفراغ الذي تركه هذا الالهيار، وانزوى الفكر النقدي في العالم الأكاديمي الصغير، فلم يعد يزعج أي أحد في أي شيء.

ولذلك فالفكر السياسي النقدي بحاجة إلى إعادة بناء، وهو العمل الذي لا يمكن أن يكون مشروعا فرديا، أو مهمة ناطق رسمي خوّلت له جماعة، أو هيئة ما، أن يكون الناطق باسم من لا كلمة له. وهنا تحديدا تكمن الحاجة القصوى إلى المثقف الجمعي، وإلى خطورة الدور الذي يمكن أن يلعبه، بالمساهمة في خلق الظروف الاجتماعية من أجل إنتاج جماعي ليوتوبيا واقعية. (29) لأن قوة الفكر السياسي النقدي تكمن في مدى اتساع نطاق من يؤمنون به، ويدافعون عنه، ويعملون به

ان ما يمكن استخلاصه من قراءة طرح "بيار بوديو" حول "المثقف الجمعي" هو أنه هو الآخر، كما "ميشال فوكو" يعترف بأن على المثقف مسؤولية تاريخية، وهي ليست هينة، خاصة بعد الهيار الاتحاد السوفيتي وسيطرة اللبرالية الجديدة على العالم وإن كان يختلف معه، في أن هذا المثقف يجب أن يعمل ضمن شبكة تسعى لطرح البديل السياسي، الذي لا يمكن أن يكون من إبداع مثقف وحيد ولوحده. وبالتالي فالحاجة إلى المثقف الجمعي قائمة، وهي أكثر من ضرورة، ولا يمكن تخطيها. وعليه يكون المثقف عند "بورديو" شخصا ملتزما

بالنقد وبرفض التسليم بالواقع، وذلك من أجل العمل على تحسين الشروط الاجتماعية، السياسية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان.

وإذن فالمثقف الجمعي من وجهة نظر "بورديو" لا يمكن أن يكون إلا ملتزما، ولو من خلال مهمة النقد التي يجب أن يطلع بها. وإلا سيكون شيئا آخر عدا مثقف، سيكون إما فيلسوفا، أو كاتبا، فنانا، أو عالما. وعندما شرح "بورديو" "سلطة المثقفين" في دراسة له حول المجتمع الجامعي " **L'homo académicus** " سنة 1984 خلص إلى أننا لم نعد أمام المثقف المبدع كما كانت عليه الحال في بداية القرن العشرين، ثم إن المثقف الذي بيده السلطة اليوم، هو مثقف خضع للرداءة.

4-المثقف المديائي: (Médiatique)

حول هذا الصنف من المثقفين، نشر "رجيس دوبريه" سنة 1979 مؤلفا له تحت عنوان "سلطة المثقف في فرنسا". من بين المواضيع التي تناولها فيه: علاقات السلطة داخل ما أسماه "حزب المثقفين"، تأثير سلطة المثقفين داخل المجتمع، وأخيرا تبعية المثقفين للتقدم التقني الإعلامي. وكذلك فعل "دو منيك لوكور" في كتابه "**les piètres penseurs**" عندما لخص فيه جملة الانتقادات التي وجهت لهذا النوع الجديد من المثقفين، الذين نالوا الشهرة بفضل وسائل الإعلام، ألا وهم المثقفون المديائيون.

يتهم المثقفون المديائيون إذن بالتبعية لوسائل الإعلام، وبعدم التفكير في العالم وفي ضرورة تغييره، مثلما فعل المثقفون الملتزمون من قبلهم. وبذلك فهم يدشنون عصرا جديدا، عصر "الفكرة الجاهزة " أو " فكرة اللحظة"، فهم لا يبحثون في عمق القضايا أو الفكرة، مثلما لا يحاولون فهم الأسباب، ليصبحوا بذلك مجرد ملاحظين لا غير.

إن الكتابات حول هذا الصنف من المثقفين عديدة، وهي على اختلافها كانت تكيل لهم النقد، فضمن هذا الإطار كتب "لويس بنتو" "**Louis Pinto**" لينعتهم بــ "مثقفي الصورة الساحرة" " Intellectuels de parodie " الذين يدينون برؤيتهم، وبشكل ومحتوى خطابهم لوسائل الإعلام. وكذلك فعل "دانيال ليندبرغ" "Daniel Lindberg " عندما نشر كتابا في الموضوع ذاته سنة 2002، تحت عنوان " تنبيه لالتزام النظام تحقيق حول الرجعيين الجدد" «Rappel à l'ordre. Enquête sur les nouveaux réactionnaires » ، إذ وكما يبدو من مواقف هذه النوعية الجديدة لهؤلاء المثقفين، نجد بأنهم قد نسوا أن المهمة الأولى للمثقف هي النقد، ورفض كل تسوية، أو تراضي، أو تنازل أمام المهيمنين، أو المسيطرين.

والآن ماذا بعد هذه التصنيفات؟ في الواقع لا يمكننا ونحن إزاء هذا الموضوع إلاّ أن نعرج على بعض التصنيفات الأخرى، المرتبطة بحالة المثقف العربي. إذ من غير المعقول ونحن بصدد "المثقف" أن نغفل الحديث عن تصنيفات المثقف العربي.

من بين الذين كتبوا حول هذه المسألـــة "برهان غليون" الذي تكلم عن عدة أصناف. منها : المثقف المجدد المصلح، والقائد. حيث " المثقف المجدد" هو المثقف المجسد لشخصية رجل التنوير، الذي تتوقف سلطته على مدى مقدرته على نقل العلوم والأفكار والقيم والمؤسسات الحديثة والجديدة من الخارج. وهو المثقف الذي استطاع في فترات تاريخية معينة أن يدفع بالمجتمعات الراكدة، أو العالم ثالثية إلى القطيعة مع المعتقدات الاجتماعية القديمة مقابل إدخال الأشكال الجديدة للمعرفة، التي كان لها الأثر البالغ على هذه المجتمعات. مثلما على تجنيد هذه المجتمعات للوقوف في وجه الاحتلال ومكافحة الاستعمار.

ويؤكد "برهان غليون" على أن صورة "المثقف المجدد" هي الصورة المسيطرة في الوعي العربي المعاصر وهي تشكل الموقف إزاء دور المثقف داخل المجتمع، أما من يمثل هذه الصورة، فهو الرعيل الأول من المثقفين العرب الذي حمل عناصر الجدة والحداثة من أمثال: اليازجي، رفاعة الطهطاوي، و علي مبارك.

أما "المثقف المصلح" وهو قد خلف "المثقف المجدد" أو هو امتداده، فيتميز في أحيان كثيرة بالخروج، أو بالانفصال والابتعاد عن العامة. لا يهتم بالتحديث بقدر اهتمامه بالعمل على تحسين أداء المؤسسات القائمة بالارتكاز على الدين كمدخل لإصلاح المجتمع ومؤسساته المختلفة، إذ كان يعتقد بأنه الطريق الأسرع والأسهل لتحقيق الإصلاح الاجتماعي. ولقد كان "جمال الدين الأفغاني" و" محمد عبده" أفضل من مثل هذا الصنف من المثقفين.

بعد " المثقف المصلح " ظهر " المثقف القائد " وقد كان منذ البداية الوسيط الرئيسي للدولة بقدر ما هي دولة البيروقراطية. وذلك بسبب التداخل الذي يميز العلاقات بينهما — المثقف والدولة - ولأسباب تاريخية واجتماعية عدة. ولقد لعب هذا المثقف دورا مميزا على الساحة السياسية الوطنية. فقد استعملته السلطة الحاكمة لتبرير ممارساتها مما أثر على سلطته المعنوية التي يتمتع بها، على اعتبار أنه مصدر الحديث والجديد. لذلك نجد بأنه وعلى الرغم من النتائج التي استطاع أن يحققها على صعيد الهيمنة العقائدية، لم يتمكن من تحويلها إلى سلطة فعلية، وأبلغ مثال على ذلك فشله في تجسيد شعارات القومية والوحدة العربية في أرض الواقع. وربما كانت هذه إحدى الأسباب التي جعلت أيضا "برهان غليون" يضيف على مصطلح " المثقف القائد " العبارة "وإخفاق المثقفين" الذين لم يفلحوا في محصلة الأمر سوى في "... إتقان لعبة التسوية بين

المصالح الجزئية الطبقية والطائفية والعشائرية والعائلية، والتي تفترض غياب أي بعد نظري أو إستراتيجي وطني عام. وكانت نتيجة ذالك إجهاض ثورية المثقفين وتهميشهم." (30) لذلك نرى كيف ينزع خطاب هذا المثقف اليوم، وبعد الإخفاق الذي مني به في مواجهة السلطة الحاكمة إلى جلد الذات، والاعتراف بالجرم، تتقاذفه في ذلك أربعة مواقف رئيسية هي: موقف الالتحاق بالسلطة، موقف المعارضة للنظام، موقف الردة، و موقف الانكفاء على الذات.

ولكننا لن نختم هنا دون إحقاق الحق فـــ "برهان غليون" لم يكن تشاؤميا وقد خلص إلى " دفاعا عن المثقفين " إلى أن الحاجة إلى دور المثقف في المجتمع لازالت قائمة. وأما ما يحتاجه المثقف اليوم " لتجاوز أزمته ليس الانسحاب من العمل السياسي والحياة العامة والالتزام الجماعي، ولكن الانتقال بمحورة جهده العمومي من دائرة السلطة والدولة والنخبة المالكة إلى دائرة المجتمع وهذا يعني أن يصبح الرأي العام هو محاور المثقف الرئيسي ومركز استثماراته الثقافية والاجتماعية معا " (31) أي أن يسعى المثقف إلى الارتقاء بالذوق العام، وبمستوى التفكير في المجتمع، لعلاقته القوية بممارسة العمل السياسي، ومن ثمة بعملية التغيير الاجتماعي بوجه عام.

إن "برهان غليون" لم يكن الوحيد الذي قدم تصوره حول أصناف المثقف. فهناك مفكرون عرب آخرون فعلوا ذلك أيضا، ومن بين هؤلاء "محمود عبد الفضيل" عندما أهتم بتحليل أزمة المثقف العربي بربطها بالحقبة النفطية، وكيف فعلت في المثقفين العرب بتحويلهم عن النضال الوطني والقومي التحرري. فشظية الاشتراكية المتقدة التي أشعلها الفقر كما كتب "جمال حمدان" يقول أطفأها البترول العربي. ليرسخ في مقابلها قيما وممارسات جديدة ارتزاقية واستهلاكية وتحول المثقف العربي الطليعي إلى مثقف تلون بعديد الألوان منها: المثقف "المراوغ" أو "الزئبقي"، المثقف "الترزي"، المثقف "المقاول" والمثقف "الاجتراري"، والمثقف "الانتحاري".

ولا ينسى "محمود عبد الفضيل" قبل أن ينتهي من مقاله التذكير بحالة جديدة للمثقف العربي، حالة الحيادية أو حالة المثقف المعقم، والمتميز بانكفائه التكنوقراطي، المهتم فقط بتقدمه وبترقيته المهنية، وبانصرافه إلى جمع المال.(32) أي حالة المثقف الغائب أو المتغيب عن الساحة.

لذلك كله أعتقد بأنه قد صار من اللازم العودة مرة أخرى إلى نقطة البداية فمن هو المثقف إذن؟

صفات المثقف:

يمكن حل السؤال السابق بطرق مختلفة. من بينها أن يتم تحديد مفهوم المثقف بواسطة جملة الخصائص التي يمكن أن تدلل عليه أو أن تميزه عن بقية المشتغلين بالحقل الثقافي أو الفكري بصفة عامة.

وهنا ربما قد نتساءل مع الكثيرين، أفلا يمكن أن يقوم أولا على أساس الفصل بين العمل اليدوي والعمل الذهني؟ لنجيب بأنه يمكن حسم هذه المسألة من خلال تعريف "غرا مشي" للمثقف، والذي استخدم عدة معايير من بينها أن للمثقف وظيفة اجتماعية يؤديها داخل البنية الاجتماعية للمجتمع. ولذلك لا يمكن أن نعرف المثقف بالاستناد إلى مستواه التعليمي بقدر ما نعرفه على أساس الدور الذي يمكن أن يقوم به داخل المجتمع.

وبناءا على ذلك يمكن الحكم بأن المثقف هو: كل إنسان يملك مجموعة من الأفكار والقيم ويسعى لتجسيدها على أرض الواقع. ومن تم فإن المثقف لابد أن يتصف بالوعي الاجتماعي، وبالقدرة على تحليل الأوضاع الاجتماعية على مستوى نظري أو تجريدي.

أما إذا ما تأملنا التاريخ وكيف ارتقى مفهوم المثقف، نجد بأنه لابد أن نضيف بأن للمثقف مهمة كشف وتعرية الوقائع، وممارسة النقد والاستعداد للذهاب برأيه إلى أبعد مدى من أجل بناء مجتمع وعالم أكثر عدلا وإنسانية، ولذلك لابد له من الانفتاح على الآخر، من قبيل المساهمة في صوغ الأحداث، من منطلق إيمانه بالقدرة على تغيير الواقع.

والمثقف لا يخاطب بصيغة الفرد، وإنما بصيغة الجمع، في ارتباطه بمجموع العلاقات المتبادلة بينهم وبين الفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة. أي بكونه فاعلا اجتماعيا، مشاركا في الشأن العام.

كما أن للمثقف خطابه الخاص، الذي يختلف عن خطاب الرجل السياسي، وخطاب رجل الدين، ورجل العلم. وإن كان يتقاطع معهم في حيثيات معينة. فخطاب المثقف يشتغل على المسائل التاريخية والسياسية والاجتماعية، ويعتمد على سلطة العقل، وهو خطاب انساني النزعة، يقوم على القبول بالتعددية والتسامح واحترام الرأي الآخر، إلا أنه لا يقبل التحالف مع من يخالفونه وجهة النظر كما يفعل السياسي مثلا.

وزيادة على ما ذكر آنفا فإن صفة الالتزام حاضرة عند المثقف، من خلال وظيفته النقدية القائمة على الكفاءة والخبرة في المجال السياسي. فعمله على بناء "... السلطة الثقافية وتدعيمها لا ينبغي أن يطمس الأهمية

الكبرى من وجهة النظر الوطنية لمشاركة المثقفين المباشرة في الصراع من أجل التغيير وفي ممارسة السلطة نفسها..."[33] داخل المجتمع الذي ينتمون اليه.

يفهم من ذلك أن على المثقف مسؤولية تاريخية. وبالتالي فليس بإمكانه أن يكون غير متحيز، أو غير مبال اتجاه مشكلات مجتمعه وعصره. لذلك فإن العبارة " صمت المثقفين" التي تستعمل غالبا لتأسف على مواقف بعض المثقفين لا يمكن أن تستقيم. فعلى المثقف أن يتكلم وأن يتخذ موقفا محددا بشأن ما يجري من أحداث داخلية وخارجية، المرتبطة بحقوق الإنسان عموما، فليس أمامه خيارات أخرى. أو كما يقول "إدوارد سعيد" "... إما أن يتحالف مع استقرار المنتصرين والمهيمنين، و إما أن – و هذا هو الطريق الأصعب – يعتبر هذا الاستقرار كمنذر بالخطر، أو وضعية تتهدد الضعفاء والخاسرين بالاندثار الكلي...".[34] أي أن على المثقف أمر تحمل رسالته التاريخية في مقاومة الجمود والتقهقر داخل المجتمع.

ثم إن المثقف صاحب رسالة اجتماعية خاصة تتعلق بحماية حق العقل والوعي في ممارسة وظيفته دون تقييد وليس من قبيل الترف، لأنها مرتبطة بشرط قيام المثقفين كفئة اجتماعية تملك أن تلعب دورا من واقع امتلاكها لرأسمال اجتماعي مؤثر خاصة في أوقات الأزمات التي تمر بها المجتمعات، حيث المعيار الأخلاقي الإنساني أساس التأثير فيها.

ولذلك فان على المثقف أن يكون متمكنا من اختصاصه، وأن يكون واعيا بطبيعة المجال، والمساحة التي يتحرك فيها ويعمل عليها، إلى جانب تمكنه من جملة معارف موضوعية في التخصصات الأخرى، مع ضرورة متابعته الدائمة للتطورات التي تحصل في مجال تخصصه، حتى يستطيع أن يؤدي دوره كناقد اجتماعي من جهة وكساعي لتغيير العالم، وكصاحب موعد مع التاريخ، عليه أن لا يتخلف عنه، والذي يعني من بين ما يعني " الدفاع عن جملة من المبادئ الحيوية والضرورية لكل تقدم اجتماعي...عن الفكرة العقلانية في الوعي والاجتماع، وعن الحرية والتسامح في السلوك الفردي والجماعي... وعن العلم كسلاح ... للتقدم. والدفاع الذي نعنيه هو الذي يعرض نفسه في صورة إنتاج تراكم معرفي تنويري..." [35] ما يعني أن دور المثقف داخل المجتمع خطير لا يمكن أن ينحصر في مجرد التعبير عن الموقف إزاء الأحداث، حيث يمتد إلى المشاركة الفاعلة في الحياة الاجتماعية، وإن كانت وظيفته الأصلية إنتاج معرفة، وكانت في حد ذاتها التزام خاصة في عالم اليوم، عالم العلم والمعرفة.بما معناه أن المثقف ليس ملزما بالانخراط في تنظيم ما، ما دام يعمل على الدفاع عن الثقافة واحترام الحريات.

الخـــاتمـــة

إن ما يمكن أن نختم به هذا المقال هو أن تناول مفهوم المثقف، ليس بالأمر الهين أبدا، أو هي مهمة في غاية التعقيد، مرد ذلك جملة من الأسباب نختصرها في النقاط التالية:

1- ارتباط ظهور المفهوم بقضية "درايفوس" التاريخية، وما نتج عنها بعد ذلك من إشكالات نظرية بشأن تعريف هذا المفهوم إذ من المعلوم أنه كان موجودا قبل هذا التاريخ.
2- بسبب كون مدلول هذا المفهوم – المثقف – اليوم نتاج لجملة التطورات التاريخية العميقة التي خبرتها المجتمعات عبر مراحل تاريخية طويلة متعاقبة.
3- ولأن للمجتمعات على اختلاف أوضاعها مثقفوها، ما يعني أن تعريف المثقف بطريقة سليمة لا يكون إلا في ربطه بطبيعة المجتمع القائم، أيا كان هذا المجتمع.
4- وإذ نقول في ارتباطه بالمجتمع، فهذا يشير ضمنيا إلى طبيعة الدور الذي يلعبه المثقف سواء كان ذلك على المستوى الداخلي– الوطني – أو على المستوى الخارجي – العالمي-.
5- صعوبة التمييز بين الفكري واليدوي لتجاوز تعريف "غرامشي" للمثقف عندما حكم بأن كل إنسان مثقف فلا يوجد نشاط إنساني يمكن إلغاء دور الجانب الفكري فيه.
6- الصعوبة المتعلقة أيضا بتمييز حدود المثقفين لتواجدهم في وضعية تعبر عن واقع تعقد العلاقات الاجتماعية.
7- ثم ينضاف إلى كافة هذه الأسباب بل وعلى رأسها، تعدد، وتنوع، أو اختلاف التعريفات التي اهتمت بحصر مفهوم المثقف بفعل تباين أو تناقض التوجهات النظرية والمنطلقات الفكرية للمهتمين بهذا المفهوم.

إنه ومنذ قضية "درايفوس" إلى غاية اليوم سال حبر كثير، واعتقد جازمة بأن هذه المسألة قد زادت في تعقيد الأمر بدلا من أن تساعد في تحديد هذا المفهوم. فمن " إميل زولا" إلى "غرامشي"، إلى "سارتر"، إلى "كارل منهايم"، إلى "عابد الجابري" إلى "برهان غليون"، وغير هؤلاء الكثير ممن لا يتسع المجال هنا للإتيان على ذكرهم، ورغم اجتهاداتهم الفذة لا تزال المسألة عالقة، إذ في كل مرة تظهر نعوت جديدة تلصق بمفهوم المثقف إلا وبالرغم من هذا الزخم في الطرح يمكننا أن نخلص إلى القول: إن "المثقف" في اعتقادنا هو: ذلك الذي يسعى الى كشف الحقيقة بأشكال وطرق مختلفة، عبر التعبير والدفاع عنها باستخدام الحجة والدليل. ولذلك فالمثقف في حاجة لأن يتحلى بالشجاعة الفكرية، خاصة وهو المنشغل دائما بممارسة النقد تجاه السلطة ونحو الواقع الاجتماعي مع ما يطرحه هذا الفعل من إشكالات ترتبط مباشرة بحدود استقلاليته التي تفرض نفسها، ويتحتم عليه مجابهتها، أو حسمها ضمانا لمصداقيته وصدقه.

الهوامش و المراجع المعتمدة :

(1) (2) : ميكائيل تومبسون، و آخران : نظرية الثقافة، ترجمة : (علي سيد الصاوي)، عالم المعرفة، الكويت، يوليو/تموز، 1998، ص ص 10،9.

(3) : الطاهر لبيب : سوسيولوجيا الثقافة، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية 1987، ص 6.

(4) : محمد أحمد العجاتي : تطور الثقافة الرأسمالية، و تأثيرها في الثقافة العربية أسئلة التطور و المستقبل، في: جهان سليم و آخرون : الثقافة العربية أسئلة التطور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003 ، ص 65.

: (5)Pierre Bourdieu : Question de Sociologie, Minuit, Paris, 2004, P 197.

(6): الطاهر لبيب: مرجع سابق، ص ص 10، 11.

(7) : قارن نفس المرجع : في الصفحات 6 ، 7، 8، 9 ، و أيضا محي الدين صابر : الثقافة العربية و تحديات المستقبل في أحمد صدقي الدجاني و آخرون : المثقف العربي همومه و عطاؤه، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ط 2 2001 ص ص، 291- 293.

: (8)Dictionnaire le petit Larousse Illustré, Paris, 1990, P 529.

: (9)Jean Marc Piotte : La Pensée politique de Gramsci, édition électronique, Chicoutimi, Québec, 12 Août 2002, P 17

)10(:أنظرPatrick Wagner : La notion d'Intellectuel engagé chez Sartre, le portique recherches 1 cahiers 1 – 2003 http ://le portique.Revues.org/document
381. html.consulté : le 9 janvier 2007.

: (11)Jacqueline Russ : Les théories du pouvoir, Librairie générale Française, Paris, 1994, P 229

)12 : (Jacqueline Russ : Ibid, P 230.

(13): علي حرب: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت ط 2، 1998، ص 38.

(14) : نفس المرجع ، ص 39 .

(15) : أنظر : محمد عابد الجابري : المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية حفريات استكشافية : أحمد صدقي الدجاني و آخرون، مرجع سابق، في الصفحات من ص 42 إلى ص 61.

(16) : برهان غليون : تهميش المثقفين و مسألة بناء النخبة القادمة، نفس المرجع السابق، ص 86.

: (17)Pierre Bourdieu : op. cit, P70

)18(19) (Ibid : PP, 70, 71. :

: (20) T.B Bottomore : Elites et Société (traduit de l'anglais par Gérard Montfort) édit stoch,1964 ,p 83.

)21(Ibid : P 85 :

(22) : نديم البيطار : المثقفون و الثورة (الانتلجنسيا كظاهرة تاريخية)، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام، بيروت، ط2، 2001، ص 85.

(23) : برهان غليون : مرجع سابق، ص 85 .

: (24)Jacqueline Russ : op. cit, P 231

(25) : عبد الله عبد الدائم : عطاء المثقف العربي : المثقف العربي و ضغوط المجتمع في أحمد صدقي الدجاني و آخرون، مرجع سابق، ص 153.

(26): علي حرب: مرجع سابق، ص 42.

: (27)Louis Bodin : les Intellectuels existent-ils, édit Boyard, Paris, 1997.

)28(:http:// www.monde-diplomatique.Fr/2006/05/4 13489, mai2006.

PP24, 25,26 : consulté le 27/11/2006.

: (29)Ibid

(30) : لمزيد من التفاصيل : أنظر، برهان غليون : مرجع سابق، في الصفحات من ص 90 إلى ص 98.

(31) : نفس المرجع، ص 98 .

(32) : نفس المرجع، ص 118 .

(33) : نفس المرجع، ص 112 .

: (34) http:// www.Monde-diplomatique.fr opcit

(35) : عبد الإله بلقزيز : نهاية الداعية الممكن و الممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ، 2000 ص 148.

المراجع المعتمدة :

(1) : ميكائيل تومبسون، و آخران : نظرية الثقافة، ترجمة : (علي سيد الصاوي)، عالم المعرفة، الكويت، يوليو/تموز 1998.

(2) : الطاهر لبيب : سوسيولوجيا الثقافة، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية 1987.

(3) : جهان سليم و آخرون : الثقافة العربية أسئلة التطور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.

)4 : (Pierre Bourdieu : Question de Sociologie, Minuit, Paris, 2004 .

(5) : أحمد صدقي الدجاني و آخرون : المثقف العربي همومه و عطاؤه، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ط 2 2001 .

)6: (Dictionnaire le petit Larousse Illustré, Paris, 1990.

)7 : (Jean Marc Piotte : La Pensée politique de Gramsci, édition électronique, Chicoutimi, Québec, 12 Août 2002

)8(Patrick Wagner : La notion d'Intellectuel engagé chez Sartre, le portique recherches 1 : cahiers 1 – 2003 http ://le portique.Revues.org/document 381.html.consulté le 9 janvier 2007.

)9(: Jacqueline Russ : Les théories du pouvoir, Librairie générale Française,Paris,1994.

(10) : علي حرب: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 2، 1998.

T.B Bottomore : Elites et Société (traduit de l'anglais par Gérard Montfort) édit Stock, 1964 : (11)

(12) : نديم البيطار : المثقفون و الثورة (الانتلجنسيا كظاهرة تاريخية)، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام، بيروت، ط2 2001.

) 13:(Louis Bodin : les Intellectuels existent-ils, édit Boyard, Paris, 1997. .

)14(: http:// www.monde-diplomatique.Fr/2006/05/4 13489, mai2006 : consulté le le 27/11/2006 .

(15) : عبد الإله بلقزيز : نهاية الداعية الممكن و الممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ، 2000 .